الفُرْقَةُ: بَابُ النِّفَاق

كَانَ مِنْ نِتَاجِ بُعْدِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ وَاتِّبَاعِ الأَهْوَاءِ: هَذَا التَّفَرُّقُ وَالِاخْتِلَافُ وَالتَّشَرْزُمُ وَالتَّحَزُّبُ وَالتَّهَارُجُ؛ الَّذِي هُوَ رَأْسُ العِلَلِ الَّتِي عَوَّقَتْ مَسِيرَةَ العَمَلِ الإِسْلَامِيِّ، وَهَذَا التَّفَرُّقُ -فِي الحَقِيقَةِ- هُوَ أَخْطَرُ الآفَاتِ الَّتِي أَصَابَتِ الأُمَّةَ فِي مَقْتَلٍ، فَحَالَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَصْبُوا إِلَيْهِ مِنَ الِاسْتِخْلَافِ وَالتَّمْكِينِ لِدِينِ اللهِ فِي الأَرْضِ.

وَمَا كَانَ هَذَا التَّفَرُّقُ وَالِاخْتِلَافُ إِلَّا بِسَبَبِ المُخَالَفَةِ لِلسَّبِيلِ الأَوْحَدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُسْلَكَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأَنعَام/ ١٥٣]، فَالتَّنَازُعُ وَالتَّفَرُّقُ نَاشِئٌ عَنِ البُعْدِ عَنْ طَرِيقِ اللهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأَنفَال/ ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عِمْرَان/ ١٠٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟

ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشُّورَىٰ/ ١٣].

وَكَانَ هَذَا التَّفَرُّقُ بِمَثَابَةِ الْمُسْتَنْقَعِ الآسِنِ الَّذِي بَاضَ فِيهِ بَاعُوضُ الهَوَىٰ وَأَفْرَخَ، وَأَعْطَىٰ الفُرْصَةَ لِأَهْلِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ وَرُؤُوسِ الضَّلَالِ وَالفِتَنِ أَنْ يُلْقُوا شِبَاكَهُمْ لِيَصْطَادُوا فِي المَاءِ العَكِرِ وَيَبُثُّوا سُمُومَهُمْ، فَنَادَىٰ أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ بِإِبْعَادِ الإِسْلَامِ وَعَزْلِهِ عَنْ مَنَاحِي الحَيَاةِ وَأَنْكَرُوا فَضْلَ الإِسْلَامِ عَلَىٰ البَشَرِيَّةِ، وَتَلَقَّفَ ذَلِكَ المَوْتُورُونَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا وَجِلْدَتِنَا الَّذِينَ تَرَبَّوْا عَلَىٰ أَعْيُنِ أَعْدَائِنَا؛ تَلَقُّفَ الجَائِعِ لِلْحَقِيرِ مِنَ اللُّقَيْمَاتِ، وَابْتَلَعُوهَا مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ وَلَا رَوِيَّةٍ عَلَىٰ مَا فِيهَا مِنْ سُمُومٍ نَاقِعَاتٍ .. تَسْرِي فِي عُرُوقِهِمْ وَتَخْتَلِطُ بِدِمَائِهِمْ، وَتَسْتَأْصِلُهُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْتَأْصِلَ غَيْرَهُمْ، وَصَارُوا مَطِيَّةً وَقَنْطَرَةً لِأَعْدَاءِ الإِسْلَامِ، وَأَضْحُوا وَسِيلَةً لِلْهَدْمِ وَالتَّدْمِيرِ فِي يَدَيْ أَعْدَاءِ اللهِ؛ فَمَكَّنُوا أَعْدَاءَ اللهِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ تَمْكِينًا مَا رَأُوا مِثْلَهُ عَلَىٰ مَرِّ العُصُورِ مُنْذُ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَصَبَغُوا وُجُوهَ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّوَادِ، وَكَلَّلُوهُمْ بِالخِزْيِ وَالعَارِ!.

إِنَّنَا نُنَبِّهُ عَلَىٰ خُطُورَةِ هَذَا الغَزْوِ وَالاِسْتِعْمَارِ الثَّقَافِيِّ الشَّرِسِ الحَقُودِ المِلْحَاحِ الَّذِي غَرَزَ أَنْيَابَهُ فِيْ جَسَدِ الأُمَّةِ؛ فِي وَقْتٍ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَرَنَّحُونَ تَحْتَ وَطْأَةِ التَّفَرُّقِ وَالجُمُودِ، وَالَّذِي أَعَانَهُ كُتَّابٌ وَسَاسَةٌ مُبْغِضُونَ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَوْجَهَلَةٌ بَهَرَهُمْ بُهْرُجُهُمْ؛ فَهُمْ دَائِبُونَ فِي مُحَاوَلَةٍ مُسْتَمِيتَةٍ لِـمَحْوِ

شَرَائِعِنَا وَتَمْيِيعِ شَخْصِيَّتِنَا؛ فَنَجَحَ هَذَا الغَزْوُ فِي إِعْطَابِ الهُوِيَّةِ المَعْنَوِيَّةِ لِلشَّخْصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَبَلْبَلَةِ الأَلْسُنِ، وَالعَادَاتِ، وَالعَقَائِدِ، وَالأَفْكَارِ، وَالأَخْلَاقِ، وَطَيِّ شَرِيعَتِنَا وَشِرَاعِنَا، وَتَحْقِيرِ شَعَائِرِنَا، وَتَذْوِيبِ الصِّبْغَةِ وَالهُوِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ المُتَمَيِّزَةِ.

وَلِذَا كَانَ لَابُدَّ مِنْ إِظْهَارِ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَفْرِشُونَ الأَرْضَ بِالوُرُودِ وَالرَّيَاحِينِ بَعْدَ تَمْهِيدِهَا لِهَذَا الِاسْتِعْمَارِ الثَّقَافِيِّ الَّذِي هُوَ أَخْطَرُ مِنَ الِاسْتِعْمَارِ العَسْكَرِيِّ الَّذِي كَانَ يُوَاجَهُ بِالمُقَاوَمَةِ وَالكَرَاهِيَةِ، وَكَذَا إِظْهَار كُلِّ مَنْ نَدَّ عَنِ الدِّينِ الحَقِّ وَاضْطَرَبَتْ صِلَتُهُ بِهِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ سَلَفُنَا الصَّالِحُ -الَّذِينَ هُمْ صَفْوَةُ الأُمَّةِ عِلْمًا وَوَرَعًا وَحِكْمَةً- بِالجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِرُوَاةِ الأَحَادِيثِ؛ فَيُبَيِّنُوا أَحْوَالَهُم مِنَ الوَهَنِ أَوِ الِانْحِرَافِ أَوِ الكَذِبِ أَوِ البِدْعَةِ، فَيَجِبُ أَنْ نَنْسَجَ عَلَى مِنْوَالِهِمْ؛ فَنَفْضَحُ أَهْلَ النِّفَاقِ وَدَسَائِسَهُمْ، وَأَهْلَ الزَّيْغِ وَبِدَعَهُمْ، وَأَهْلَ الضَّلَالِ وَضَلَالَتَهُمْ .. فَلَابُدَّ مِنْ تَعْرِيَةِ عَوَارِ بَاطِلِهِمْ، وَشَرْحَهُمْ حَتَّى يَبْدُو فَقَارُهُمْ، وَتُظْهَرَ مَخَازِيهِمْ، وَيَنْكَشِفَ كَذِبُهُمْ وَفِرَاهُمْ، وَتَنْفَضِحَ جَرَائِمُهُمْ.. وَإِظْهَارِ خُبْثِ نِيَّتِهِمْ وَسُوءِ طَوِيَّتِهِمْ حَتَّى لَا يَرُوجُ بَهْرُجُهُمْ عَلَى البُلَهَاءِ وَالجُهَلَاءِ بِمَنْهَجِ الأَنْبِيَاءِ، فَفِي الأُمَّةِ سَمَّاعُونَ لِلْمُنَافِقِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ المُنَافِقِينَ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ

يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ [التَّوْبَة/ ٤٧](١).

وَذَلِكَ مِنْ بَابِ «النَّصِيحَة»؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:(٢) «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

وَلَابُدَّ مِنَ الأَخْذِ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ إِلَىٰ حَظِيرَةِ الإِيمَانِ وَسُلُوكِ الجَادَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ «**الأَمْر بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنِ الْمُنْكَرِ**»؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:(٣) «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**».

وَكَيْفَ نَسْكُتُ عَنْهُمْ وَمَا سَكَتُوا هُمْ عَنَّا؟ وَهَؤُلَاءِ سَبَبُ نَكْبَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا وَقَعَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ مِحَنٍ وَبَلَايَا عَلَىٰ مَرِّ العُصُورِ، وَهُمْ لِسَانُ العَدُوِّ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَيَدُهُ الَّتِي يَخْلُصُ عَنْ طَرِيقِهِمْ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

وَلِذَا؛ فَفَسَادُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ فَسَادِ اسْتِيلَاءِ العَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الحَرْبِ عَلَىٰ بِلَادِ

---

(١) يُنْظَرْ "مَجْمُوع الفَتَاوَى" (٢٨/ ٢٣٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٥٥).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٤٩).

الْمُسْلِمِينَ، وَلِذَا؛ فَهُمْ أَضَرُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمِيعِ الأَعْدَاءِ[١].

***

وَهَذَا بَابٌ مِنَ الجِهَادِ قَلَّ سَالِكُوهُ -فَمَنْ يَنْزِلُ فِي هَذَا البَحْرِ الخِضَمِ الَّذِي قَلَّ فِيهِ السَّابِحُونَ وَكَثُرَتْ فِيهِ التَّمَاسِيحُ؟ .. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التَّوْبَة/ ٧٣، التَّحْرِيم/ ٩].

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الجِهَادِ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الكُفَّارِ، وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَوَرَثَةِ الرُّسُلِ، وَلِذَا؛ فَالقَائِمُونَ بِهِ قَلِيلُونَ فِي العَالَمِ أَجْمَع[٢]، وَلَابُدَّ مِنْ إِبْرَازِ الحَقِّ وَإِعْلَانِهِ وَتَبْيِينِ الصَّوَابِ وَتَوْضِيحِهِ، وَمَحْوِ البَاطِلِ وَسَحْقِهِ وَتَقْوِيضِهِ وَدَمْغِهِ.

***

وَلَابُدَّ مِنْ إِغْلَاقِ البَابِ الَّذِي وَلَجَ مِنْهُ أَهْلُ النِّفَاقِ وَأَهْلُ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ؛ وَهُوَ بَابُ التَّفَرُّقِ وَالتَّنَازُعِ الَّذِي فَشَى فِي الأُمَّةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى هَذَا التَّصَدُّعِ فِي كِيَانِ وَبُنْيَانِ الأُمَّةِ الدَّاخِلِيِّ وَمَزَّقَ أَوْصَالَهَا، وَأَدَّى إِلَى تَفَكُّكِ الأُمَّةِ وَسُقُوطِهَا إِلَى

---

(١) رَاجِعْ: "مَجْمُوع الفَتَاوَى" (٢٨/ ٢٣٢)، وَ"مِنْهَاج السُّنَّة" (٥/ ١٥٩).

(٢) انْظُرْ: "زَاد المَعَاد" (٣/ ٥ وَمَا بَعْدَهَا)، وَ"مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة" (١/ ٧٦).

حَضِيضِ الهَوَانِ، وَأَعْطَىٰ الفُرْصَةَ لِأَعْدَائِهَا يَتَلَاعَبُونَ بِعِزِّهَا وَكَرَامَتِهَا، وَيَنْهَبُونَ خَيْرَاتِهَا وَثَرْوَاتِهَا كَيْفَمَا شَاءُوا .. وَخَاصَّةً هَذَا التَّفَرُّقُ الْمُتَسَرْبِلُ بِلِبَاسِ الدِّينِ الَّذِي يَرْفَعُ شِعَارَاتٍ دِينِيَّةٍ رَنَّانَةً طَنَّانَةً تَقُومُ عَلَىٰ حُجَجٍ وَاهِيَةٍ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ!

فَأَعْظَمُ أَسْبَابِ الهَزِيمَةِ وَالشَّقَاءِ الَّذِي مَا بَعْدَهُ شَقَاءٌ، وَالدَّاءُ العِضَالُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرَاءٌ: التَّنَازُعُ، وَأَشُدُّهُ وَلَاشَكَّ: التَّنَازُعُ فِي الدِّينِ، وَالتَّنَازُعُ قَرِينُ الخُذْلَانِ وَالفَشَلِ، وَتَفَرُّقُ الكَلِمَةِ وَتَقَطُّعُ الأَمْرِ نَذِيرُ التَّصَدُّعِ وَالِانْهِيَارِ، فَمَا تَفَرَّقَتْ كَلِمَةُ قَوْمٍ وَتَقَطَّعُوا فِرَقًا وَأَحْزَابًا إِلَّا امْتَهَدَ السَّبِيلُ إِلَىٰ غَزْوِهِمْ وَتَسْلِيطِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ، وَلِذَا سَارَ الْمُسْتَعْمِرُ دَائِمًا عَلَىٰ مَبْدَأِ: «**فَرِّقْ تَسُدْ**».

***

فَهَذِهِ النَّكْبَةُ الَّتِي حَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ، وَهَذِهِ الذِّلَّةُ وَالمَهَانَةُ الَّتِي لَحِقَتْ بِهِمْ، وَهَذِهِ الدِّمَاءُ الَّتِي أُرِيقَتْ، وَالأَرْوَاحُ الَّتِي أُزْهِقَتْ، وَالأَعْرَاضُ الَّتِي انْتُهِكَتْ، وَالْمُقَدَّسَاتُ الَّتِي هُتِكَتْ .. مَا كَانَتْ إِلَّا بِسَبَبِ هَذَا التَّفَرُّقِ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّنَاحُرِ الَّذِي حَدَثَ لِلْأُمَّةِ .. فَتَفَرُّقُ القَوْمِ فَسَادٌ وَهَلَكَةٌ، وَاجْتِمَاعُهُمْ صَلَاحٌ وَتَمْكِينٌ، وَالِائْتِلَافُ رَافِدٌ وَرَائِدُ النَّصْرِ، وَالتَّفَرُّقُ بَرِيدُ الهَزِيمَةِ[1]، وَكَيْفَ نَقِفُ أَمَامَ

(١) وَقَدْ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَيْضًا "الِاسْتِقَامَة" (١/ ٤٢): =

نُحَاوِرُهُ أَوْ نُقَاتِلُهُ، وَنَحْنُ فِي هَذِهِ الحَالَةِ المُرْدِيَةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالتَّشَرْذُمِ؟

تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادَا

وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:(١) «**إِنِّي لَأَرَى هَؤُلَاءِ القَوْمَ إِلَّا ظَاهِرِينَ عَلَيْكُمْ؛ لِتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ**».

***

وَلِذَا جَاءَ النَّهْيُ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ**﴾ [الأَنْعَام / ١٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥**﴾ [آل عِمْرَان/ ١٠٥]، وَوَصَفَ اللهُ تَعَالَى المُتَفَرِّقِينَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢**﴾ [الرُّوم/ ٣١ ، ٣٢].

=«وَالبِدْعَةُ مَقْرُونَةٌ بِالفُرْقَةِ، كَمَا أَنَّ السُّنَّةَ مَقْرُونَةٌ بِالجَمَاعَةِ؛ فَيُقَالُ: (أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ)، كَمَا يُقَالُ: (أَهْلُ البِدْعَةِ وَالفُرْقَةِ)، فَالأَهْوَاءُ سَبَبُ الِاخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ، فَلَيْسَ العَجَبُ مِنْ تَفَرُّقِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ، وَلَكِنَّ العَجَبَ مِنْ تَفَرُّقِ أَهْلِ الحَقِّ.»!!!

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٨/ ٦١٤).

وَعَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:(١) سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلاَفَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «**كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**».

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:(٢) هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا؛ قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ؛ فَقَالَ: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلاَفِهِمْ فِي الْكِتَابِ**».

فَإِذَا كَانَ فِي خِلَافِ الْمُصِيبَيْنِ الهَلَاكُ؛ فَمَا بَالُكَ بِخِلَافِ غَيْرِهِمَا؟

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:(٣) كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ؛ وَيَقُولُ: «**اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبِكُمْ**».

فإذا كَانَ الاِخْتِلَافُ فِي الجُزْئِيَّاتِ سَبَبًا لِاخْتِلَافِ القُلُوبِ وَتَنَافُرِهَا؛ فَكَيْفَ بِالاِخْتِلَافَاتِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، وَالَّتِي ذَاقَ الْمُسْلِمُونَ مَرَارَتَهَا وَأَدَّتْ إِلَى

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٢٤١٠).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٦٦٦).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٤٣٢).

هَذَا الحَالِ المُتَدَنِّي المُتَدَهْوِرِ وَالمُنْهَارِالَّذِي آلَتْ إِلَيْهِ الأُمَّةُ، وَلَوْلَا حِفْظُ اللهِ لَهَا لَكَانَتْ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ؟!

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا:(١) «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً: سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ(٢)، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا**».

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأَنْعَام/ ٦٥]؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٣) «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، قَالَ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا(٤) وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ(٥)﴾، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ هَذَا أَيْسَرُ**».

***

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٨٩٠).

(٢) أَيْ: الجَدْب وَالقَحْط.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٤٦٢٨).

(٤) أَيْ: يَكُونُوا فِرَقًا مُخْتَلِفِينَ.

(٥) أَيْ: بِالحَرْبِ وَالقَتْلِ، وَهَذَا أَخَفُّ مِنَ الِاسْتِئْصَالِ. وَانْظُرْ: "فَتْح البَارِي" (١٣/ ٢٩٦).

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُحَارِبُ جُرْثُومَةَ الِافْتِرَاقِ وَالِاخْتِلَافِ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّنَاحُرِ وَهِيَ فِي مَهْدِهَا قَبْلَ أَنْ تَنْمُو وَيَسْتَفْحِلَ خَطَرُهَا؛ فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ:(١) غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ(٢)، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ(٣) نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّىٰ كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ(٤)، فَكَسَعَ(٥) أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا؛ حَتَّىٰ تَدَاعُوا(٦)، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ!(٧) وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟**(٨)» ثُمَّ قَالَ: «**مَا شَأْنُهُم؟**» فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ؛

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٣٥١٨) وَمَوَاضِع، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٨٤).

(٢) هِيَ غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعَ الَّتِي كَانَتْ مَعَ بَنِي الْمُصْطَلَقِ.

(٣) أَيْ: اجْتَمَعَ.

(٤) أَيْ: بَطَّال، وَقِيلَ: كَانَ يَلْعَبُ بِالحِرَابِ كَمَا تَصْنَعُ الحَبَشَةُ، وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ: جِهْجَاهُ بْنُ قَيْسٍ الغِفَارِيُّ، وَكَانَ أَجِيرَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَالأَنْصَارِيُّ هُوَ: سِنَانُ بْنُ وَبَرَةَ حَلِيفُ بَنِي سَالِمٍ الخَزْرَجِيِّ. كَمَا فِي "فَتْح البَارِي" (٦/ ٦٣٢)، وَانْظُرْ: (٨/ ٥١٧).

(٥) أَيْ: ضَرَبَهُ عَلَى دُبُرِهِ بِاليَدِ أَوْ بِالرِّجْلِ.

(٦) أَيْ: دَعَى كُلٌّ قَوْمَهُ.

(٧) أَيْ: أَغِيثُونِي.

(٨) وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً؛ فَقِتْلَةٌ=

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ -رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ- فَقَالَ: فَعَلُوهَا؟ أَمَا وَاللهِ! لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. ... الحَدِيث.

فَانْظُرْ كَيْفَ سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَى كُلٍّ مِنْهُمَا طَائِفَتَهُ الْمُنْتَسِبَ إِلَيْهَا[1] "**دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ**"، وَذَكَرَ خُبْثَهَا وَنَتَنَهَا؟[2].

***

=جَاهِلِيَّةٌ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ ح ١٨٥٠)، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ» (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ح ٥١٢١، وَانْظُرْ مُسْلِمًا (ح ١٨٤٨)، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى الحَدِيثِ الطَّوِيلِ لِلْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ: «أَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ، وَمَنْ دَعَى بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ جثَى جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ...» الحَدِيث. (رَوَاهُ أَحْمَدُ ٥/ ٣٣٤، وَالتِّرْمِذِيُّ ح ٢٢٩٨، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ ١/ ٣٦٦)، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ فَهُوَ كَالبَعِيرِ الَّذِي رَدَى فَهُوَ يَنْزَعُ بِذَنَبِهِ» (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ح ٥١١٧)، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الإِثْمِ وَهَلَكَ.

(١) بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّ الِانْتِسَابَ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ انْتِسَابٌ حَسَنٌ مَحْمُودٌ، فَهُمَا اسْمَانِ شَرْعِيَّانِ.

(٢) انْظُرْ: "اقْتِضَاء الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم" لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (١/ ٢١١).

obeikandi.com

وَانْظُرْ كَيْفَ حَاوَلَ النِّفَاقَ أَنْ يُطِلَّ بِقَرْنِهِ وَيَنْفُثَ سُمُومَهُ فِي مَنَاخِ الفِتْنَةِ؟(١)؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأَنْفَال/ ٤٦].

وَ... «إِذَا تَفَرَّقَتِ الغَنَمُ قَادَتْهَا العَنْزُ الجَرْبَاءُ».

***

وَقَدْ حَضَّ الإِسْلَامُ عَلَىٰ التَّجَمُّعِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَنْ يَكُونَ المُسْلِمُونَ كَلِمَةً وَاحِدَةً وَيَدًا وَاحِدَةً عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ/ صَفِيُّ الرَّحْمَنِ المُبَارَكْفُورِيّ فِي كِتَابِهِ "الأَحْزَاب السِّيَاسِيَّة فِي الإِسْلَام" (ص ٣٧) عَنِ الكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ: «فَهُمْ حِينَ يَسْمَعُونَ خَبَرًا يُفِيدُ اتِّحَادَ المُسْلِمِينَ وَتَعَاوُنَهُمْ فِيمَ بَيْنَهُمْ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنَ العَالَمِ يَنْزَعِجُونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْتُرُوا كَآبَتَهُمْ وَأَلَمَهُمْ، بَلْ يَبْدُو كُلُّ هَذَا مِنْ خِلَالِ كَلِمَاتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ؛ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عِمْرَان/ ١١٨]، وَهُمْ حِينَ يَسْمَعُونَ عَنْ تَنَازُعٍ وَاخْتِلَافٍ فِيمَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمْ يَطِيرُونَ فَرَحًا، وَيُصَفِّقُونَ وَيَمْرَحُونَ، وَتَتَهَلَّلُ وُجُوهُهُمْ كَأَنَّهُمْ نَالُوا أَعْظَمَ بُغْيَةٍ وَفَازُوا فَوْزًا عَظِيمًا، بَلْ أَكْبَرُ مَا يَهُمُّهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المُسْلِمِينَ هُوَ أَنْ يُثِيرُوا فِتْنَةً تُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى التَّنَازُعِ وَالاِفْتِرَاقِ، يُنْفِقُونَ عَلَى ذَلِكَ أَمْوَالًا طَائِلَةً، وَيُخَصِّصُونَ لَهُ خُبَرَاءً مُتَخَصِّصِينَ فِي إِفْسَادِ العَلَاقَاتِ، وَإِثَارَةِ القَلَاقِلِ وَالفِتَنِ بَيْنَ الجَمَاعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ». أ.هـ.

إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عِمْرَان/ ١٠٣].

وَخطَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ؛ فَقَالَ:(١) قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ قِيَامِي فِيكُمْ؛ فَقَالَ: «**مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ؛ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ**».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٢) «**يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ**».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٣) «**مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شَبْرًا؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ**(٤) **الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ**».

***

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٢١٦٥)، وَالآجُرِيُّ فِي "الشَّرِيعَة" (ص ٨)، وَانْظُرْ: الصَّحِيحَةَ (ح ١١١٦).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٢١٦٦)، وَانْظُرْ صَحِيحَ التِّرْمِذِيِّ لِلْأَلْبَانِيِّ (ح ١٧٥٩).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٥/ ١٨٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٤٧٥٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٦٤١٠).

(٤) الرِّبْقَة: مَا يُجْعَلُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ؛ كَالطَّوْقِ يُمْسِكُهَا لِئَلَّا تَشْرُدَ، فَإِذَا خَلَعَتْهُ فَلَا يُؤْمَنُ عَلَيْهَا عِنْدَ ذَلِكَ الهَلَاكُ وَالضَّيَاعُ.

وَقَدْ بَيَّنَ الإِسْلَامُ رَوَابِطَ الوُدِّ وَالإِخَاءِ الَّتِي تَرْبِطُ أَهْلَ الإِيمَانِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرَات/ ١٠]، وَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(١) «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ.**»، وَقَالَ أَيْضًا:(٢) «**كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**».

وَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٣) «**المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ: يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيَجْرِي عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ...**».

وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٤) «**المُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ؛ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ؛ اشْتَكَى كُلُّهُ**».

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٥) «**تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**».

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٥١٤٣)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٦٤).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٦٠٦٥)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٥٩).

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٢٧٥١)، وَابْنُ مَاجَهْ (ح ٢٦٨٥).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٠٠٠).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٨٦).

openkanal.com

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(١) «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».

وَقَالَ أَيْضًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٢) «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الأَخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ.**».

فَهَذِهِ الأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالتَّعَاضُدِ، وَلَابُدَّ مِنَ الوُقُوفِ بِحَزْمٍ أَمَامَ أَيِّ مُحَاوَلَةٍ لِزَعْزَعَةِ صَفِّ الْمُسْلِمِينَ وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٣) «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ؛ فَاقْتُلُوهُ.**»، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُودَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَّاتٌ وَهَنَّاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الجَمَاعَةَ** -أَوْ: يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ- **كَائِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ، وَالشَّيْطَانُ مَعَ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ يَرْكُضُ**».

***

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٦٠٢٦)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٥٨٥).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ١٨٤٤).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ١٤٨٠)، وَانْظُرْ "إِرْوَاء الغَلِيل" (ح ٢٤٥٢).

وَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ نِزَاعٌ أَوْ خِلَافٌ أَنْ يَرُدُّوا هَذَا التَّنَازُعَ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَشَهِدَ لَهُ بِالصِّحَةِ فَهُوَ الحَقُّ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النِّسَاء/ ٥٩].

وَعَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ؛ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ:[1] «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

فَالخُرُوجُ مِنَ الخِلَافِ يَكُونُ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

***

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٤٦٠٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ٢٦٧٦)، وَابْنُ مَاجَهْ (ح ٤٢).

فَلْتَتَرَابِطِ الأُمَّةُ وَلِتَجْتَمِعْ حَوْلَ هَذَا المِنْهَاجِ الَّذِي رَسَمَهُ لَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الحَدِيثِ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَ المُسْلِمِينَ -كَائِنًا مَنْ كَانَ- حَتَّىٰ وَلَو كَانَ مُنْتَزِعًا لِلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِأَهْلٍ[1]، وَالتَّمَسُّكِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، وَالبُعْدِ عَنِ البِدَعِ وَالمُنْكَرَاتِ ..

فَهَذَا هُوَ سَبِيلُ التَّآلُفِ وَجَمْعِ كَلِمَةِ المُسْلِمِينَ.

***

(١) انْظُرْ: كِتَابِي: «طَاعَة أُولِي الأَمْرِ».

وَانْظُرْ أَيْضًا: كِتَابَ «سُلْطَان المُسْلِمِين .. مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ» لِأَخِي الشَّيْخِ/ مُحَمَّد جَبْر.

cheikandl.com